

القمامة «تعيل» الفقراء في شمال شرق سوريا

نساء وأطفال يتجولون بين مكبات النفايات بحثاً عن الغذاء والكساء



لقمة قاتلة

ووفق برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة، تضاعفت أسعار المواد الغذائية ثلاث مرات في وقت يعاني نحو 9.3 ملايين سوري من انعدام الأمن الغذائي.

وفي عام 2019، وقبل تسجيل الارتفاع الهائل في الأسعار، أفاد البرنامج أن أكثر من سبتيين في المئة من سكان المناطق الواقعة تحت سيطرة الأكراد في شمال شرق سوريا يعانون من انعدام الأمن الغذائي.

وفي المكب، تعثر إحدى الفتيات على مستحضرات تجميل. تبسّم وتسارع إلى وضع قلم أحمر الشفاة في جيبها.

وأثناء انهماكهم في البحث، يعتمد بعض الأهالي إلى حرق ما يمكن حرقه بهدف التدفئة مع موجة البرد القارس والأمطار الغزيرة التي اجتاحت المنطقة، لكن استنشاق دخانه يمثل خطراً كبيراً.

وتقول أم مصطفى باسني "نعيش من قلة الموت.. فالمت أفضل من هذه الحياة".

والإهتمام والتعليم، لكن بسبب الحال الذي يتنا عليه من الفقر والحاجة، وخاصة بعد موت زوجي، اضطررنا لأن نقبل مرغمين بإرسال أبنائنا لهذه الأعمال لمساعدتنا في تأمين لقمة العيش ودفع الإيجار".

وهؤلاء بشكل يومي في المكبات والحاويات عن خردوات ومواد بلاستيكية، والأسلاك النحاسية، وكل ما يمكن استخدامه سواء للحرق أو لإعادة التدوير، غير أبهين بما يمكن أن تسبب لهم عملية البحث تلك من أضرار جسيمة على صحتهم.

ويقول سامر، البالغ من العمر ثمانية أعوام، "نبحث عن البلاستيك ومواد أخرى قابلة للبيع كالححاس وغيره، نحن نحاول مساعدة أسرنا من خلال هذا العمل".

ولا يعرف سامر المدرسة، ولم يدخلها على الإطلاق، بسبب صغر سنه عندما تزجت أسرته، ويقول "هذه هي حياتنا منذ البداية، كما أننا نخشى أن نفقد هذا العمل بسبب الإجراءات الصحية التي فرضها انتشار وباء كورونا، حيث صار عمال البلدية يحذروننا من ذلك".

وتقول والدة سامر عبارات يطغى عليها الألم والحسرة

"كنت أحلم أن ينال طفالي كل الرعاية

وتقول "ارتفعت الأسعار جراء الفوضى والأزمة في سوريا. لا حلول أمامنا بسبب الفقر، بننا مجبرين على البحث في النفايات".

وعلى غرار كثيرين، تنتظر أم مصطفى وصول شاحنة محملة بالنفايات كونها تضم أحياناً "طعاماً جيداً"، تقول "نتنظرها كل يوم لنأكل منها... وجدت اليوم بصلاً وتشيبس وبسكويت".

وتشهد سوريا، منذ بدء النزاع عام 2011، أسوأ أزماتها الاقتصادية والمعيشية، والتي تراكمت مع انهيار قياسي في قيمة الليرة وتآكل القدرة الشرائية للسوريين الذين باتت الجزء الأكبر منهم تحت خط الفقر.

ويصرى الأخصائيون في علم الاجتماع أن ظاهرة أطفال الشوارع الذين يبحثون في القمامة عن رزق ملوث تنتشر بكثرة في الدول التي تشهد حروباً أو مجاعات أو في الدول النامية، مؤكداً على ضرورة تدخل المنظمات الدولية المعنية بشؤون الطفل مثل اليونيسيف، للضغط على الحكومات بهدف بناء برامج تنموية واقتصادية وتربوية وتعليمية.

ويعمل في جمع النفايات أطفال من مختلف الأعمار، تبدأ بعمر خمس سنوات وتنتهي بعمر الثمانية أعوام، حيث يبحث

تزداد معاناة السوريين في شمال شرق بلادهم مع غلاء الأسعار وارتفاع معدلات الفقر وزيادة تدفق النازحين وانتشار البطالة، فلجأوا إلى مكبات النفايات، نساء وأطفالاً، يبحثون عن المخلفات القابلة لإعادة التدوير لبيعها أو عن طعام يأكلونه أو لباس يقون به أجسادهم من برد الشتاء، غير أبهين للمخاطر الصحية لحرق النفايات.

المالكية (سوريا) - في مدينة المالكية في شمال شرق سوريا، يتهاقت رجال ونساء وأطفال فور وصول أي شاحنة إلى مكب للنفايات، حيث يبحثون عن عبوات بلاستيكية لبيعها وثياب لارتداها، أو حتى عن بقايا طعام يسدون بها جوعهم. ورغم أن هذه الظاهرة ليست جديدة على مسمع ومسرى السوريين، إلا أنها بالتأكيد تفاقمت بعد ارتفاع معدلات الفقر وزيادة تدفق النازحين بين المحافظات السورية، رغم أن خبراء الصحة يحذرون من خطر انتشار وباء كورونا في المنطقة.

تفاقم ظاهرة البحث في القمامة ومكبات النفايات بعد ارتفاع معدلات الفقر وزيادة تدفق النازحين بين المحافظات السورية

يرمي شايان الأيكاس البلاستيكية السوداء من الشاحنة، فيما يسارع الموجودون إلى استكشاف محتوياتها، ومن حولهم يتصاعد دخان ناتج عن حرق مكبات من النفايات في هذا المكب الضخم، ما يخلف لهم أضراراً صحية وأمراضاً خطيرة.

وعلى الجهة المقابلة، يختلف المشهد تماماً، إذ يخرق هدير آلات استخراج النفط التقليدية الصمت السائد في المكان، ويجري العمل على قدم وساق في واحد من حقول النفط المتعددة التي تعرف بها



وجبة اليوم

شقيقات ينتظرن رفع بايدن حظر السفر للقاء أولادهن في الغربية



الآلاف من الأمهات من ليبيا وسوريا وإيران والصومال واليمن لا يتمكنن سوى زيارة أبنائهن ولقائهن مرة أخرى بعد سنين من الغياب

وبعد أسابيع، تلقت جواباً بالرخص عبر البريد الإلكتروني، تقول، "كنت قابلة قانونية لسنوات طويلة، ساعدت العديد من الأمهات على إنجاب أطفالهن". وأعرف كم أن هذه اللحظة مهمة بالنسبة إلى الأم".

وتضيف، "انتظر بفارغ الصبر أن يصل بايدن ويبلغني هذا القانون. سأقدم بطلب تأشيرة في اليوم نفسه الذي يلغي فيه هذا القانون".

سندذهب لرؤيتها فور حصولنا على التأشيرة".

وسبق للعائلة أن التقت في تركيا، إلا أن تكرار ذلك بات مستحيلًا منذ نحو عام تقريباً.

وتشرح إلهام "جراء الوفاء، لم تتمكن من اللقاء وقد اشتقت لوالدي كثيراً وأريد أن يلتقيا بأحفادهما"، مضيفة "أتمنى أن يتغير الأمور مع رحيل ترامب".

في إيران التي تتعرض لعقوبات أميركية قاسية غير حظر السفر، يبدو الوضع أكثر تعقيداً. ويضطر الإيرانيون للسفر إلى دول مجاورة كإيران أو الإمارات العربية المتحدة لتقديم طلب الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة.

وتقدمت مهناز (62 عاماً) بطلب إلى السفارة الأميركية في أرمينيا للحصول على تأشيرة، أملة الحصول عليها حتى تتمكن من الوقوف إلى جانب ابنتها الحامل المقيمة في لوس أنجلوس.

ولهذه الغاية، أرفقت طلبها بتقرير من طبيب أميركي يوصي بحاجة ابنتها إلى دعم عاطفي خلال الولادة.

لكن تقول إن المسؤول عن الوثائق في السفارة قال لها خلال المقابلة، إنه "جراء قرار الرئيس لا يمكنه أن يتخذ القرار النهائي بمفرده".

وتقدمت الأم المتلهفة لرؤية ابنتها بطلب الحصول على تأشيرة عام 2018 عبر السفارة الأميركية في بيروت، لكن طلبها رفض مباشرة ولم تستمر المقابلة أكثر من دقيقة واحدة، على حد قولها.

وتقول مبنسة "انتظر وصول بايدن إلى الرئاسة أكثر مما ينتظر هو نفسه". وكما في سوريا، فرق القرار شمل عائلات كثيرة من دول أخرى تنتظر جميعها أن تجتمع مجدداً كما هي حال الزوجين اللبيني مريم وعبدالهادي رضا المقيمين في مدينة طرابلس والمتشوقين لرؤية ابنتهما وعائلتها.

وتابع الزوجان، وهما في نهاية العقد السابع من العمر اليوم، دراستهما بموجب منحة في الولايات المتحدة حيث أنجبا ابنتهما المريضة إلهام (49 عاماً) التي نالت الجنسية الأميركية وتقيم مع زوجها وأطفالهما الثلاثة في ديترويت في ولاية ميشيغان.

وطيلة فترة رئاسة ترامب، لم تشفع جنسية الابنة الوحيدة للزوجين الحصول على تأشيرة سفر لزيارتها. وتقول مريم، معلمة اللغة الإنجليزية المتقاعدة، "حظر السفر غير عادل..

وسافرت ابنتها نوار (38 عاماً) إلى الولايات المتحدة في أواخر العام 2015 إثر حصولها على منحة دراسية. وبعد ذلك، قررت البقاء وقدمت طلب لجوء، لكن ملفها أعيد للدراسة مرة أخرى بعد تسلّم ترامب سدة الرئاسة، ولا يزال معلقاً حتى اللحظة.

وعلى عكس بعض الذين تمكنوا من رؤية أحباهم في بلد ثالث، أغلقت الأبواب في وجه لميس وابنتها نوار، إذ لا يمكن للأخيرة حتى مغادرة الولايات المتحدة لعدم حيازتها أوراقاً.

وتصنف إدريس قرار ترامب بـ"الظالم"، قائله بتأخر، "الآلاف من الأمهات مثلي حول العالم، لا يتمكنن سوى زيارة أبنائهن ولقائهن مرة أخرى". منذ اندلاع النزاع في سوريا قبل نحو عقد من الزمن، بات سفر السوريين إلى الخارج صعباً مع قطع العديد من الدول الأجنبية علاقاتها الدبلوماسية مع دمشق. وغالباً ما يتطلب الأمر إجراءات معقدة ويصعب الحصول بسهولة على تأشيرات دخول، حتى إلى دول مجاورة. وتتابع إدريس يومياً نشرات الأخبار على وسائل إعلام أميركية. وتقول بينما اغرورقت عينها بالدموع "سأسافر إلى أي بلد لأقدم أوراقاً فور بدء قبول الطلبات"، وذلك في ظل إغلاق السفارة الأميركية في دمشق.

ومن دمشق أيضاً، استقبلت لميس جديد (79 عاماً) تنصيب بايدن الثلاثاء بتحضير كل المستندات المطلوبة للتقدم بطلب الحصول على تأشيرة سفر.

وتقول بغصة، "مضى أكثر من أربع سنوات لم أتمكن خلالها من رؤية ابنتي"، مضيفة بحزن، "أخاف أن أموت وحيدة قبل أن أراها".

دمشق - في منزلها في دمشق، تقلب السيدة ضحوك إدريس صور ابنها المقيم في الولايات المتحدة، وتنتظر بفارغ الصبر رؤيته، موقلة على تعهد الرئيس الأميركي المنتخب جو بايدن بإلغاء حظر السفر الغروض على دول عدة بينها سوريا.

وتعهد بايدن بأن يبادر في اليوم الأول من رئاسته إلى إلغاء قرار حظر سفر مثير للجدل فرضه سلفه دونالد ترامب بعد وصوله إلى سدة الرئاسة العام 2017. ويشمل الحظر خصوصاً مواطني دول ذات غالبية مسلمة هي إيران وليبيا والصومال وسوريا واليمن، بالإضافة إلى كوريا الشمالية وفنزويلا.

وتقول إدريس من منزلها الذي زينت بعض جدرانها بصور ابنها (36 عاماً)، والذي يتابع تحصيله العلمي في مجال المعلوماتية والبرمجة في واشنطن، "أعدت الأيام حتى أحصل على التأشيرة مرة أخرى".

وتضيف السيدة الستينية، وهي مدرّسة كيمياء متقاعدة، "سمعت السيد بايدن ينادي ورأيت به بعيني على التلفاز، وقد وعد أن يكون رفع الحظر من أولوياته".

وزارت إدريس ابنها مرتين في العام 2015 ثم 2016، إلا أنها لم تحصل بعد ذلك على تأشيرة جديدة.